عمارة عراقية معاصرة

المحاضرة رقم 7 – الاسبوع السابع

جامعة المثنى

كلية الهندسة

قسم هندسة العمارة

المقدمة

عن ذكر منجز رفعة الجادرجي يتطلب الامر محض مفردتين لا غير ، وهما : الحداثة وتمثيلها ؛ التمثيل التائق للتعبير عن الحداثة باسلوب خاص ومتفرد ، كان دوما مترعا بحضور روح المكان ، او ما يدعوها هو بـ " الاقلمة " ، وهاتان المفردتان كافيتان ، فيما نعتقد ، لاضاءة مقاربة هذا المعمار المجدّ بكل سيرورتها المبدعة وتنقلاتها الاسلوبية المفاجئة .

ثمة ، اذن ، حضور طاغٍ للحداثة في منجز المعمار العراقي المعروف ، حضور يزيده ترسيخاً في المشهد المعماري المحلي والاقليمي نوعية ثقافة المعمار الرصينة ، المتابعة ، بجد ، لحراك التجديدات " الافنغاردوية " في الممارسة المهنية العالمية ، القادرة على حسن الاختيار والمؤهلة للانتقاءات الطليعية .

يمكن بسهولة رسم متوازيات بين منجز عمارة الجادرجي ومنتج عمارة الحداثة ؛ ووجود هذه المتوازيات ، في اعتقادنا ، ليست رهناً بمثال تصميمي واحد اوبمجموعة تصاميم من اعمال الجادرجي والممارسة العالمية ، انها ، في رأينا ، تغطي امتداد عموم الممارسة المهنية الشاملة للمعمار بدءاً من منتصف الخمسينات وحتى نهاية السبعينات عندما اضطر الى ايقاف نشاطه المعماري اثر سجنه ، بدواعي تلفيقات كيدية افتعلها النظام الديكتاتوري التوتاليتاري البغيض . لقد ساهم في حضور هذه المتوازيات وساعد في ترسيخها اولا بالمشهد المعماري المحلي ، ليس فقط قناعات المعمار الشاب التى بدأت تتشكل مهنياً ، وانما ، ايضاً ، بباعث خصوصية واقع البيئة الابداعية لعراق الخمسينات ، الحافلة يومذاك في ارهاصات التجديد والتغيير . كما ان تلازم ، وتزامن سببين آخرين نراهما مؤثرين ، عملا من ناحيتهما على سرعة تقبل واستيعاب نزعات الحداثة الى يتوق اليها المعمار الطموح . واول هذين السببين هو توافق وجود مجموعة من المعماريين المجددّين العاملين بالعراق مثل " فيليب هيرست " و" عبد الله احسان كامل " و " الين جودت الايوبي " و " ايغور بلاتينوف " وغيرهم ، والسبب الآخر النهايات الحتمية لمديات المسار المعماري الاول ، المؤسس للعمارة العراقية الحديثة ، والذي استنفذت طاقته الابداعية تماما بسلسلة من المباني ذات التكوينات " الكلاسيكية " ، فضلا على غياب مؤسسيه الاساسيين . بتعبير آخر ، ادت خصوصية عمارة الفترة الزمنية في بداية الخمسينات ، المنطوية على فراغ اسلوبي من جهة ، ووجود مجموعة مجددة مؤهلة لملء هذا الفراغ بمقاربات طليعية من جهة اخرى ، ادت الى تبني وقبول المشهد المعماري ، يومذاك ، لطروحات انساق التوازي مع تطبيقات الفكر المعماري العالمي .

رفعة الجادرجي:

رفعة الجادرجي (٦ ديسمبر ١٩٢٦ - ١٠ أبريل ٢٠٢٠)، مهندس معماري وفنان تشكيلي عراقي ولد في مدينة بغداد، وحصل على جائزه أغاخان للعماره في عام ١٩٨٦، وجائزه تميّز للإنجاز المعماري مدى الحياه عام ٢٠١٥، ومنح الدكتوراه الفخرية من جامعة كوفنتري البريطانية في نفس العام. ودرس الفلسفة في جامعة هارفارد.

نشأته وحياته الشخصية:

ولد رفعة كامل رفعت الجادرجي في بغداد عام ١٩٢٦ في عائلة ذات توجه يساري فوالده هو السياسي والصحفي والوزير كامل الجادرجي مؤسس الحزب الوطني الديموقراطي، وأشقاؤه هم نصير الجادرجي وباسل ويقظان وأمينة. وقد تزوج من الناشطة الشيوعية بلقيس شرارة، وهي من مواليد مدينة النجف عام ١٩٣٣، والحاصلة على بكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة بغداد عام ١٩٥٦. ولم ينجبا أطفالاً لرفضهما فكرة إنجاب الأطفال وقال: "أنا وزوجتي قرّرنا ألا ننجب أطفالاً؛ لأن البشر يخرّبون الأرض"!.

اعتقل الجادرجي عام ١٩٧٨ وبقي في سجن أبو غريب لمدة ٢٠ شهرا قبل أن يطلق سراحه بطريقة مؤثرة، فعندما كان العراق يستعد لاستضافة مؤتمر عدم الانحياز طلب الرئيس صدام حسين حينها مقابلة أشهر المعماريين لتكليفهِ بإعادة التنظيم العمراني لبعض الأماكن في بغداد. وأخبر صدام بوجود أشهر المعماريين في السجن فأمر بإطلاق سراح الجادرجي عام ١٩٨٠ ليتفرغ للمهمة . وبعد ثلاثة أعوام على خروجه من السجن، غادر العراق عام ١٩٨٣ إلى بيروت وبريطانيا التي أقام فيها بقية حياته

وعندما عاد مع زوجته الكاتبة بلقيس شرارة إلى العراق عام ٢٠٠٩، صدم بما رآه. وقال حينها "لا أصدق ما الذي جرى. لقد تحول كل شيء إلى خراب تقريبا، لقد تعرض العراق لغزوات ولم يستقر منذ فترات طويلة وهذا ما ينعكس باستمرار على التفاصيل الحياتية والعمرانية". عندما عاد أخيرًا إلى العراق في عام ٢٠٠٩ ، خيبت البلاد آماله بشكل كبير. وتضيف شرارة: "ذهبنا لمدة ١٠ أيام. "زرنا أربيل وبغداد، لكن الرحلة كلها أحزنته - مجرد رؤية ما حدث للعراق، وما أصبح عليه شارع الرشيد في بغداد، كان كافياً لإعادتنا إلى لندن.

في مقابلة له مع ريكاردو كرم قال: "أنا ملحد بكل معنى الكلمة". وبين أنه توصل بعد دراسة الفلسفة مع زوجته إلى أن الأديان من صنع البشر وأن إيمان الناس بالسحر سابق للأديان، ولذا فإنه لا يؤمن بها رغم أنه يحترم إيمان الناس بالأديان، وقد أوضح أن لديه وصية مكتوبة بأن تحرق جثته بعد موته ولا يدفن ولا يصلى عليه.

دراسته وأعماله:

كان رفعة أحد الشركاء في مكتب الاستشاري العراقي في بغداد. واكمل شهادة البكالوريوس في العمارة من جامعة هامرسميث عام ١٩٥٤. ومن أعماله مبنى الاتحاد العام للصناعات، ومبنى نقابة العمال، ومبنى البدالة الرئيسية في السنك، ومبنى البرلمان العراقي. ولهُ أعمال فنية أخرى فهو المصمم للقاعدة التي علق عليها الفنان جواد سليم نصب الحرية في ساحة التحرير ببغداد كما أنه صمم نصب الجندي المجهول الأول في عقد السبعينات من القرن العشرين في ساحة الفردوس. وصمم أيضا العلم العراقي الأزرق المثير للجدل والذي لم يعتمد.

تأثرت أعمال رفعت المعمارية بحركة الحداثة في العمارة ولكنها كانت ذات طابع محلي. معظم واجهات المباني التي صممها مغلفة بالطابوق الطيني العراقي وعليها اشكال تجريدية تشبه الشناشيل وغيرها من العناصر التقليدية و لكن بتكنولوجيا بناء حديثة.

إن رفعة الجادرجي قد وصل بالعمارة التقليدية "التحدارية" كما يطلق عليها إلى المستوى الشكلي التجريدي، فأصبح ينظر إليها كمنحوتة فنية لها خصائص تقليدية مجردة حسب مفهومه، لكنه لم يتعامل مع القراع المعماري بتلك النظرة التحدارية أو بتلك الخلفية التقليدية، فعندما نشاهد مسافطه الأفقية نجد أنها في كثير من الأحيان تكون مسافط أفقيه مستوحات من الحداثة.

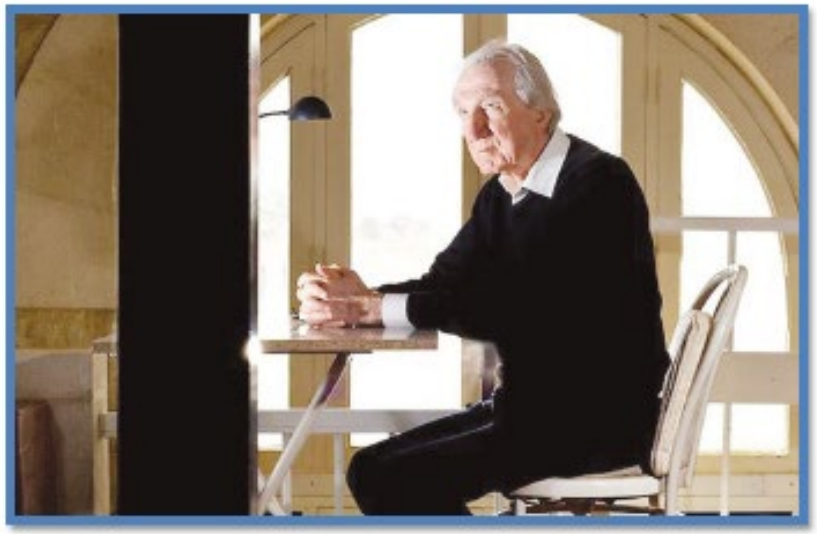

من مؤلفاته :

للجادرجي العديد من الكتب حول العمارة ومعظم مؤلفاته في التنظير المعماري، ومن كتبه:

- شارع طه وهامر سميث.
- جدار بين ضفتين.
- صورة أب.
- ملف ١٢ لرسوم معمارية.
- ملف ٨ لتصاوير كامل الجادرجي.
- مفاهيم ومؤثرات – نحو هندسة معمارية إقليمية .
- الاخضر والقصر البلوري – نشوء النظرية الجدلية في العمارة – ١٩٩١.
- التصوير الفوتوغرافي لكامل الجادرجي – ١٩٩١.
- حوار في بنيوية الفن والعمارة – ١٩٩٥.
- المسؤولية الاجتماعية لدور المعمار أو المعمار المسؤول - ١٩٩٩
- مقام الجلوس في بيت عارف آغا - ٢٠٠١.
- مقدمة إلى التصميم الحضري والهندسة المعمارية في لبنان – ٢٠٠٤.
- في حق ممارسة السياسة والديمقراطية (٢٠٠٤).
- في سببية وجدلية العمارة – ٢٠٠٦ (جائزة الشيخ زايد للكتاب عام ٢٠٠٨).
- التجديد في نهج تصميم المساجد الأثرية – ١٩٨٤.

أهم الأعمال :

من أعماله الشاخصة:

- قاعدة نصب الحرية (١٩٥٨)
- بناية البريد المركزي في السنك (١٩٧٠)
- مبنى اتحاد الصناعات الوطنية (١٩٦٦)
- مبنى المجمع العلمي العراقي (١٩٦٦)
- مبنى مجلس الوزراء (١٩٧٥)
- مصرف الرافدين (١٩٦٩)

وفاته:

توفى الجادرجي بسبب إصابته بمرض فيروس كورونا في لندن يوم الجمعة الموافق ١٠ نيسان ٢٠٢٠ عن عمرٍ يُناهز ٩٣ سنة. ونعاه رئيس الجمهورية العراقي برهم صالح ورئيس الوزراء المكلف مصطفى الكاظمي.

أسلوبه المعماري:

تأثرت أعمال رفعت المعمارية بحركة الحداثة في العمارة ولكنه حاول أيضا أن يضيف إليها نكهة عراقية إسلامية. معظم واجهات المباني التي صممها مغلفة بالطابوق الطيني العراقي وعليها اشكال تجريدية تشبه الشناشيل وغيرها من العناصر التقليدية.

إن رفعت الجادرجي قد وصل بالعمارة التقليدية "التحدارية" كما يطلق عليها إلى المستوى الشكلي التجريدي، فأصبح ينظر إليها كمنحوتة فنية لها خصائص تقليدية مجردة حسب مفهومه، لكنه لم يتعامل مع الفراغ المعماري بتلك النظرة التحدارية أو بتلك الخلفية التقليدية، فعندما نشاهد مسافاته الأفقية نجد أنها في كثير من الأحيان تكون مسافات أفقية مستوحات من الحداثة.

للجادرجي العديد من الكتب حول العمارة ومعظم كتاباته في التنظير المعماري وقد حاول النظر إلى التركيبة الاجتماعية - العمرانية في العالم العربي. من كتبه "شارع طه وهامر سيمث" و"الأخيضر والقصر البلوري" و"جدار بين ضفتين". وهو حاليا مقيم في لندن.

فلسفته :

يعتبر رفعة الجادرجي اول من فكر بمعالجة الشكل الخارجي لواجهات المباني وإيجاد كاسرات الشمس بطريقة ابداعية محمولة على ممر خارجي يحيط بالمبنى لتوفير الظل لتقليل الحرارة بالدرجة الاولى و لتكسير شدة الضوء وتخفيف حدتها وانتقالها الى الداخل بعيدا عن زعللة العين المجردة بالدرجة الثانية.

يؤمن الجادرجي ان على المعمار خدمة المجتمع بالدرجة الاولى لان المعمار يمثل و يعبر عن المجتمع و ان العمارة هي اهم اداة للحوار الاجتماعي، فجمال العمارة يعكس جمال المجتمع عاطفيا و وجدانيا. و لكي يبدع المعمار يجب ان يؤمن و قبل كل شيء بقاعدة خدمة المجتمع و ان خدمة المجتمع تتفاعل مع المعرفة العلمية (تاريخ الفن و تاريخ العمارة) .

استبد فلسفته في العمارة من نظرية الجاذبية لنيوتن و قانون الاستفاء الطبيعي لدارون بالإضافة الى البيئة العلمية و الأنثروبولوجيا التي نشأ فيها .

فالعمارة بنظره هي ظاهرة وجودية يجب ان يكون لها بنى تبنى عليها مثل العلاقة بين الكتلتين، و هذا ما نشره في اطروحته عام ١٩٥٠ وان على المعماري ان يفهم ان هناك تفاعل بين المجتمع و التكنلوجية المعمارية.

يؤمن الجادرجي ان العمارة الاسلامية الحديثة هي حرفة و ليس فن . حيث يفترض الجادرجي في كتابه " صفة الجمال في وعي الانسان" وجود حالة متأصلة في كيان الفرد و هي حاجة مركبة و ترابية تجعل الحياة ممتعة و ممتلئة بالمعنى عبر تحققها في عالم مبتكر ينتج مُصنّعاته (العمارة، الفن، المعرفة) .

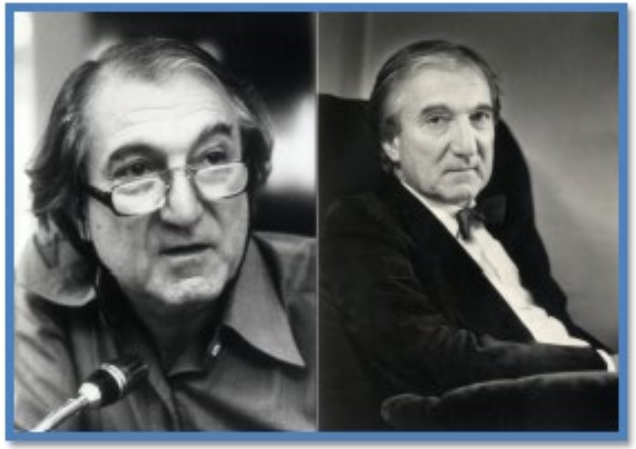

المشروع الاول: مبنى انحصار النبوغ

دهشنا رفعة الجادرجي (١٩٢٦)، معمار مبنى مديرية انحصار النبوغ في باب المعظم ١٩٦٧؛ يدهشنا بتقلباته الأسلوبية، وتنوع مقارباته التكوينية. ولكونه معماراً مجداً، وفطناً، متلما هو مطلع، ومتابع جيد عما يدور في الورشة المعمارية العالمية، فانه باستطاعته، بخفة، ان يتخلى عن "كشوفاته" التصميمية، هي التي بذل جهداً كبيرا في إرسائها بالخطاب، وينتقل إلى مرحلة أخرى، تقود نحو مقاربة أخرى، قد لا تكون ذات صلة كبيرة بما سبقها من مراحل مساره الإبداعي، تحدوه رغبة قوية لتجريب صوابية "كشوفات" إبداعية جديدة، يمكن لها ان تثري منجزه المعماري، المنجز الذي يتوق لأن يكون حاضراً بقوة في المشهد المعماري المحلي والإقليمي على حدٍ سواء. لكن هذا الحضور، وإن كانت مقارباته التصميمية، تستقي وجودها (وشرعيتها ..أيضاً!) من تطبيقات عمارة الحداثة، فإنه يضفي عليه (على الحضور)، ذائقته الخاصة، طامحاً لأن يكون، إضافة مميزة ومعبرة، في الممارسة المعمارية.

في منتصف الستينات، ولع الجادرجي، في مقاربة تصميمية جديدة، كانت خصوصيتها وخصائصها، وقت ذاك، مثار جدل واسع في الأوساط المعمارية العالمية. وأقصد بذلك ظهور مقاربة "البروتاليزم" أو بالأحرى "نيو بروتاليزم" New Brutalism، إنها احدى المقاربات التي ظهرت بصورة لافتة في نهاية الخمسينات وبداية الستينات بالمشهد المعماري، كونها نوعاً من احتجاج على ما سُمي في حينها بسطوة "التيار الدولي" في العمارة، ذلك التيار الذي انتشر انتشارا سريعا في الوسط المعماري، كالنار في الهشيم. ودائما كان ذلك الانتشار متسماً بعدم مراعاة الذائقة الجمالية المحلية، وغير مكترث بثقافة المكان وتقاليده البنائية. لم تكن تلك الاحتجاجات أو الاعتراضات، مقتصرة على مكان جغرافي محدد، وإنما شملت مناطق متنوعة، ذات مرجعيات ثقافية مختلفة. ولعل ظهور وتبني "النيوبروتاليزم"، كان بمثابة تجسيد لتلك

الاعتراضات من قبل كثر من المصممين وخصوصا لدى الزوجين الإنكليزيين: "بيتر واليسون سميثسون"، اللذين عُدا "عرّابي" النيو بروتاليزم في الخطاب المعماري.

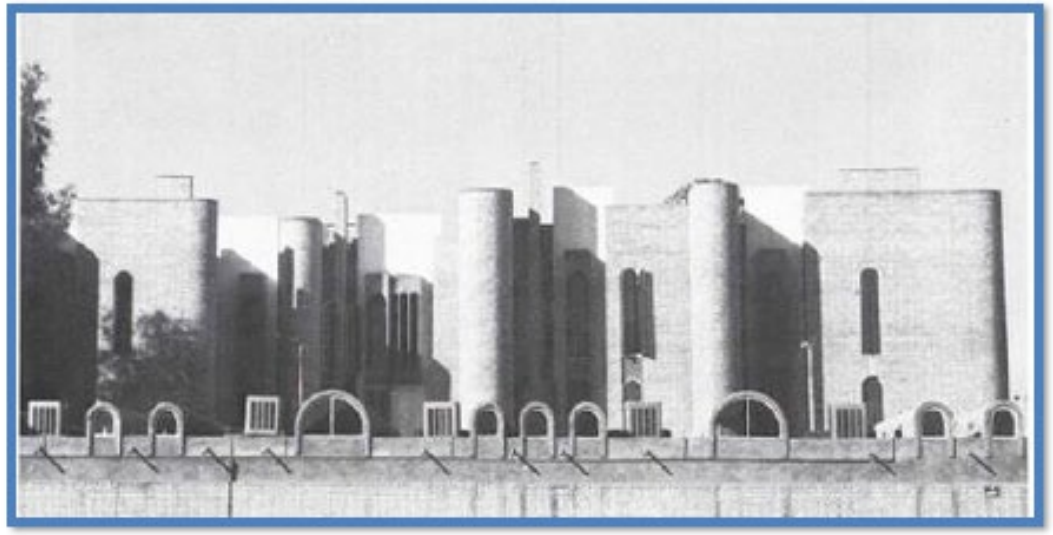

في مبنى التبوغ، تتناب المرء دهشة بالغة، لجهة قرار المعمار المتخذ في معالجة مفردات تكوينات مبناه. ثمة صفاء تصميمي، مشوب بالبساطة والهندسة المنتظمة، يطغى على مخطط المبنى. يقابله من ناحية أخرى "ضجيج" تصميمي، تحدثه عناصر كثيرة ومتنوعة تزدحم بها مفردات الواجهتين: الأمامية ..والخلفية أيضا. بكلمات آخرى، ثمة تعارض

"مقصود"، ينزع المعمار به إلى تأكيد حضوره التكويني؛ تعارض جلي بين صفاء المخطط الافقي للمبنى، وكثافة عناصر "التصعيد" العمودي لكتل ذلك المخطط، الذي يُبتغى من وراءه إكساب المبنى قوة تعبيرية لافتة. ينشد المصمم إلى ان تكون مفردة الممر الوسطي الطويل، بمنزلة العنصر الفعال في مخطط المبنى، هو الذي "ينشر" بتفريق واضح، على جانبيه فضاءات المبنى التي يوزعها ما بين الفضاءات "الخادمة" و"المخدومة"، بحسب أطروحة المعمار "لويس كان"، (الذي نرى، من دون شك، تأثيرات عمارته "الصرحية" على انتقائية قرار المعمار البغدادي المعروف).

ومن خلال خاصية ذلك التوزيع، انعكاساته التي تولد تنوعاً في أشكال تتطبق فضاءات المبنى واجهاتياً؛ فان تلك الأشكال تضفي على عمارة المبنى، السمة "القلاعية" الراسخة، هي التي اختفت تأثيراتها منذ عقود عن مجمل نتاج عمارة الحداثة؛ ما يجعل من تمثلات عمارة مبنى التبوغ "البروتالية" الناجزة، حدثاً تصميمياً فريداً، مثلما ترتقي تلك العمارة لتكون ظاهرة استثنائية، أيضا، في أهميتها الأسلوبية.

ثمة، إذاً، كتل: كتل آجرية صماء، معمولة بصورة "فظة" بتعمد (زيادة في حضور الإحساس بـ "القلعة"، والقلاع!)، وهذه الكتل، تكتفي أحيانا بسطوحها المستوية الصلدة، المحفور بها فتحات النوافذ الطولية، واحياناً ترى تلك الكتل، وقد اتخذت فورماتها أشكالاً دائرية، يغالي المعمار في توظيف عددها الغزير في واجهة مبناه، على امل إكساب الأخير حضورا لافتاً في المشهد. لكن ما اجترحه المعمار من "طبقات"Lyres واجهاتية: متنوعة الملمس ومختلفة في اللون، التي عبرها "تنحول" واجهة المبنى ذي البعدين لتضحى ثلاثية الأبعاد. وتضيف سمة خاصة إلى عمارة مبنى التبوغ، وتجعل من "فورمه" النفيس المتميز، شكلا لا يشبه البتة ما هو مألوف ومتداول تصميمياً في تلك الحقبة. وفي النتيجة فنحن إزاء تمرين تصميمي ممتع، يرتقي بمبنى التبوغ، ليكون احد أجمل مباني الستينات في العاصمة العراقية. بيد أن قرار تشييد سياج أصم حول المبنى مؤخراً، وبارتفاع عالٍ نسبياً.

أفقد عمارة المبنى تأثيراتها المتوقعة حضريا ومعمارياً على البيئة المبنية المجاورة. فكثير من المتلقين، بل وكثير حتى من المعماريين، لا ينتبهون، وهم يسيرون بجانب حائط سياج "التبوغ"، بأنهم يتاخمون بمروهم اليومي، احد نماذج العمارة المميزة والهامة في المشهد المعماري العراقي، وكذلك الإقليمي.

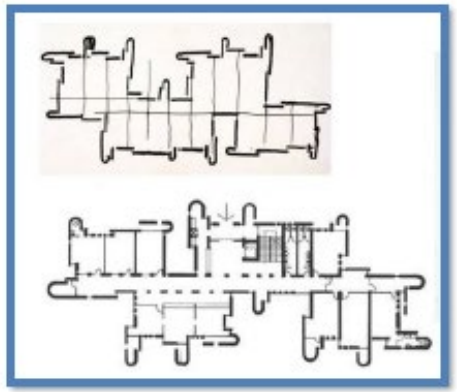

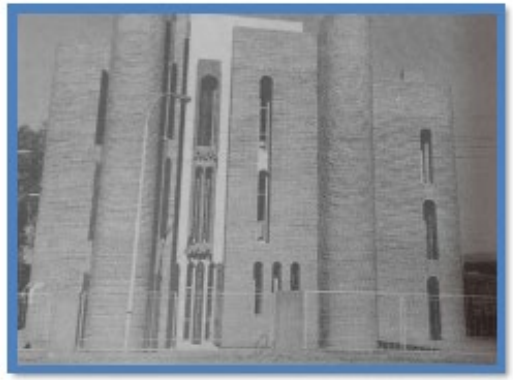

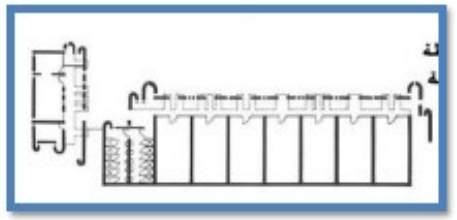

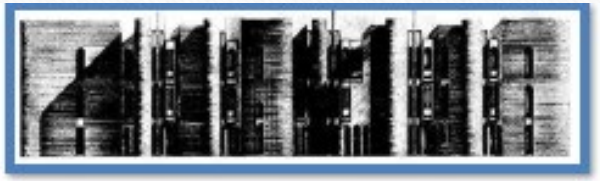

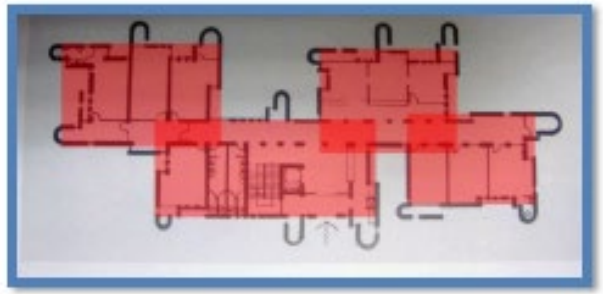

المشروع الثاني:

فيلا حلات في لبنان ١٩٦٩ رفعت الجادرجي

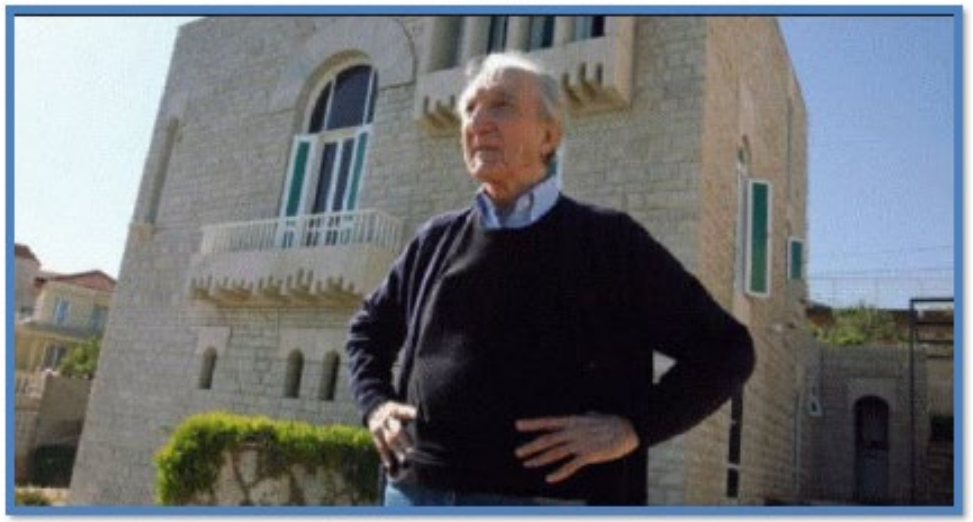

امتازت أعمال رفعة بالحداثة العالمية في الأفكار و التقنية و طابعها المحلي، فقد كان يرى أن العمارة الناجحة تلك التي تجمع بين احتياجات المجتمع و التقنية المجتمعية، والذي كان الموضوع الرئيسي لأكثر كتبه مبيعاً "كونسبتس اند انفلوينسز" والذي نشر باللغة الانجليزية.

رفعة الجادرجي كان أكثر ما يفخر بأرشيفه الفوتوغرافي والذي تجاوز ال ٨٠ ألف صورة وثّقت الحياة الاجتماعية في العراق من منتصف خمسينيات القرن العشرين و حتى ثمانينات ذات القرن. حيث كما تذكر زوجته ورفيقة دربه الباحثة و الكاتبة السيدة بلقيس شرارة أن نظرة رفعة للتصوير الفوتوغرافي هي نظرة الأنثروبولوجية جعلت من أرشيفه مرجعاً فريداً لتوثيق الأزقة و الحرف و الطقوس الدينية و كما كان يقول انه صوّر حقيقة العراق كما هي. و توجد النسخ الأصلية من هذه الصور حالياً في مركز الآغا خان للتوثيق في ماساتشوستس للتكنولوجيا، و النسخ الالكترونية في أرشيفه في جائزة تميّز المعمارية.

تعتبر هذه الفيلا من اشهر المنازل التي صممها رفعة الجادرجي خارج العراق و تعتبر هذه الفيلا هي منزل له في لبنان .

وصف المبنى :

عند النظر الى المخطط الارضي للمبنى نجد انه مربع الشكل بالكامل لا يوجد اي انحرافات .

و كان رفعة يتميز باضافة الطابع المحلي للمدينة على المبنى ، فأضفى اليه العديد من العناصر البنائية التي كانت انذاك في منطقة حالات في لبنان .

و استخدامه المميز للحجر داخل و خارج المنبى اضفى اليه المتانه و الرصانه و الهيمنة على مجاوراته .

و من العناصر المهمه و المميزه في هذه الفيلا هي الشبابيك الملونه و الصغيرة الحجم . و بروز الشرفات بطريقة غير تقليدية مع وجود حواف مختلفة الارتفعات اسفلها تضي الى المبنى نكهه غريبه بالرغم من بساطة التكوين الشكلي .

فيلا حالات على الشاطىء اللبناني في شمال بيروت، ١٩٦٩. مخطط الطابق الأرضي.

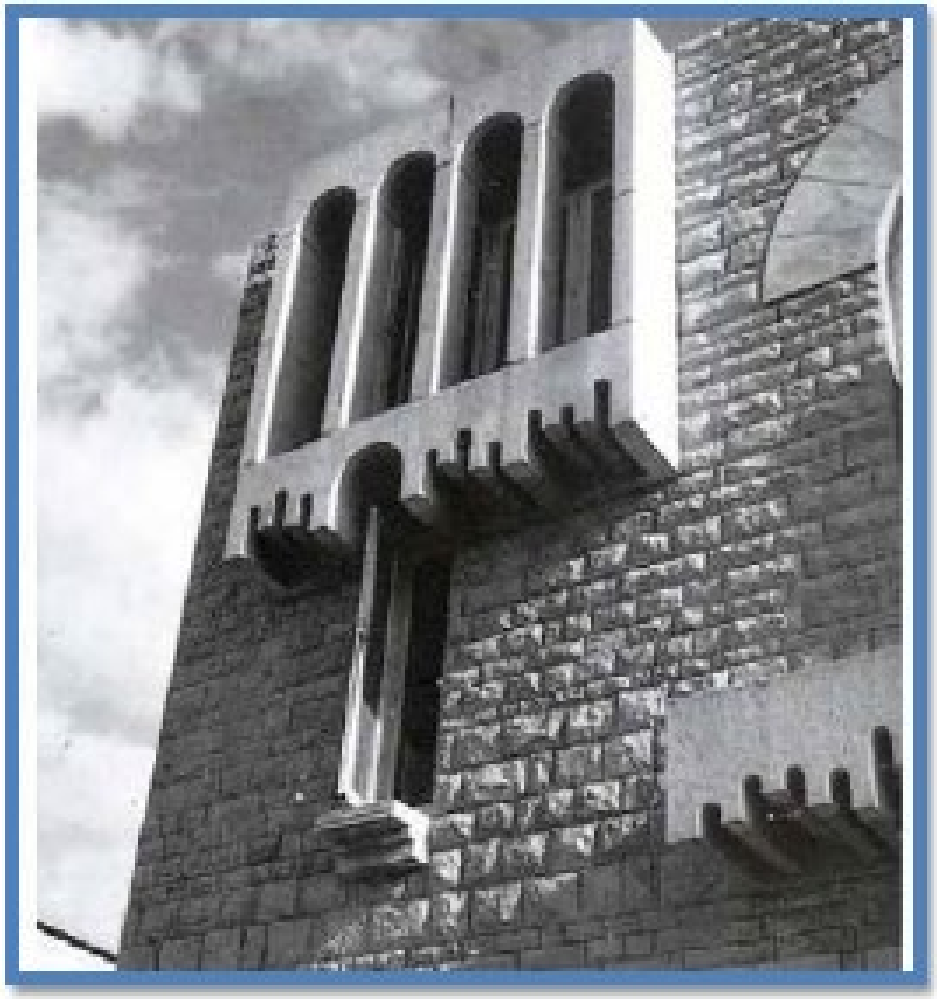

المشروع الثالث :

مجمع الاندلس السكني او مجمع الحساوي فى حولى والشركه المنفذه للمشروع شركة مبارك عبدالعزيز الحساوي عام ١٩٧٤ في الكويت .

وهو من المشاريع المهمة التي قام بتصميمها رفعة الجادرجي في الكويت و ذلك لتوسيع المساحة في منطقة الحولي و استيعاب اكبر عدد من الشقق .

حيث ساهم رفعة الجادرجي في تصميم بعض المشاريع المميزة في الكويت في أواخر الستينات، حيث صمم فيلا خاصة لأسرة الحمد في منطقة السالمية، ومن ثم صمم مجمع الأندلس في منطقة حولي لصالح المرحوم مبارك الحساوي، وهو عبارة عن مجمع متعدد الاستخدام يضم شققا سكنية ومحلات ومكاتب تجارية، ومن ثم تم نسخ التصميم نفسه لأنشاء مجمع العزيزية السكني في السالمية.

يضم المجمع مباني عديدة متعددة الارتفاعات منها مخصصة للسكن و منها مخصصة للادارة و هناك ايضا محلات تجارية . تختلف ارتفاعات المبنى باختلاف الوظائف التي يشغلها ، فأن بعض اجزاءه يضم طابقين واخرى ثلاثة طوابق، و يصل الى خمس طوابق .

المصادر:

١- أبريل ١٥، ٢٠١٨ بواسطة الادارة - من اعلام بلادي – رفعة الجادرجي -بقلم غادة طاهر.

٢- رفعة الجادرجي – دار العمران .

٣- إيلاف للنشر المحدودة - "رفعة الجادرجي: معمار" .

٤- TAMAYOUZ EXCELLENCE AWARD .

٥- ثمانينية رفعة الجادرجي : الحداثة اولا ... الحداثة دائما - الحوار المتمدن-العدد: ١٦٠٨ - ٢٠٠٦ / ٧ / ١١ - ٠٩:٥٩ المحور: الادب والفن .

٦- Archnet– Kuwait City, Kuwait- Hassawi Residential Complex

٧- كتاب الاخيضر والقصر البلوري – نشوء النظرية الجدلية في العمارة .